العرب الثقافي

لقاء أسبوعي
مع قراء العرب
في شؤون الثقافة والفكر
والإبداع الفني والأدبي

فنون

الخميس 5 -10- 2006
Thursday 5-10-2006

تقرأ في الداخل

● «كناسة الدكان» ليحيى حقي في طبعة جديدة (ص8) ● سمير سرحان والحياة على مقهى (ص8) ● التداخل الأجناسي .. السرد في المكتوب الشعري (ص9) ● العولمة ما لها وما عليها (ص9) ● 4 قصص قصيرة لكتاب من الأرجنتين وروسيا وليبيا والعراق، وقصائد من مصر وتونس وليبيا (ص10)

تشكيل

الفنان صدر الدين أمين:
لوحتي تحتاج إلى عين طفل، أو عين ناقد محترف تختصر المسافة بين الفنان والمتلقي

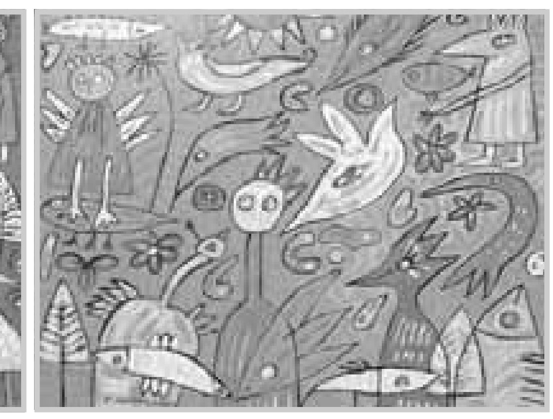
لوحة "مخلوقات أرجوانية"

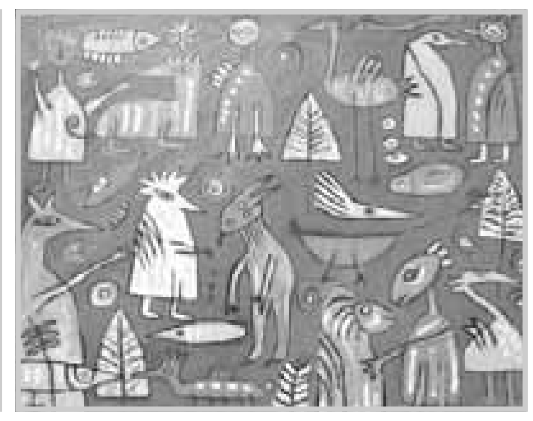
لوحة "بلاد العجائب"

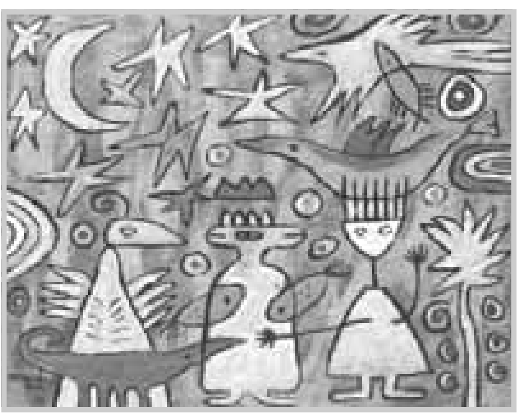
لوحة "العالم الآخر"

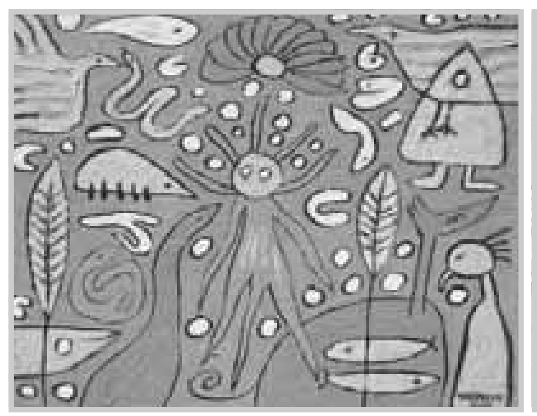
لوحة "الرجل الأخطبوط"

أمستردام - عدنان حسين أحمد

اعتدتُ بين أوانٍ وآخر أن أحاور الفنان التشكيلي صدر الدين أمين، أو أن أحلّل جوانب من تجربته الفنية التي تنطوي على كمٍ كبير من التنوع والإختلاف، هذا التنوّع ناجم عن غنى لوحته، وثرائها، وعمقها المُستَمَد من عالمها البدئي الذي ينفّذه الفنان في الأعم الأغلب بأسلوب بكتوغرافي أو ما يُعرف بالعربية بـ "الكتابة التصويرية" التي انبثقت عنها الكتابة المسمارية ذائعة الصيت في العراق. يميل الخطاب البصري الذي يخلقه صدر الدين أمين لمصلحة الرسوم الأولى التي كانت تزدان بالرموز والإشارات والشيفرات البكر، محفوفة بالمخلوقات الفطرية، وما يحيطها من حكايات وأساطير وقصص خرافية وطقوس وشعائر دينية تؤرشف للتاريخ البصري البدئي الذي يتفاعل مع عالمنا المعاصر برؤاه وتقنياته الحديثة. ولا بد من الإشارة الى أن أبرز محفّزات هذا الحوار هو ظهور الشخصية "الشامانية" في لوحة صدر الدين أمين، والتي اكتشفها، وحدد معالمها الأولى كل من الناقد التشكيلي خالد خضير والروائية المبدعة لطفية الدليمي. إن الشامانية بوصفها ديانة بدائية موجودة في شمالي آسيا وأوروبا، وتتميز بالاعتقاد بوجود عالم محجوب، وغير مرئي هو عالم الآلهة والشياطين وأرواح السلف. وهذا العالم لا يستجيب، بحسب زعم الشامانيين، إلا للشامان، هذه الشخصية التي هي أقرب الى الكاهن أو رجل الدين الذي يستعمل السحر لمعالجة المرضى، ولكشف المخبّأ، وللسيطرة على الأحداث. وجدير ذكره أن في أمريكا الشمالية دين مماثل للشامانية يتبعه الهنود الحمر على وجه الخصوص. ولأن صدر الدين أمين هندي أحمر بوجه من الوجوه، وشامان تشكيلي، فقد ارتأينا أن ننثر أمامه عدداً من الأسئلة التي تتعلق بالأرواحية أو ما يسمّى بحيوية المادة، هذا المذهب الذي يعتقد أتباعه بأن الروح أو النفس هي المبدأ الحيوي المنظّم للكون. كما التمسنا منه أن يبين لنا أوجه التشابه بين تجربته الفنية وتجربة الفنان الأمريكي كيث هارنغ، وأسئلة أخرى تتعلق بثيماته وتقنياته الحديثة.

البعد الكرافيكي

● ثمة بُعد غرافيكي في أعمالك الفنية التي تعتمد في إنجازها على أكثر من أسلوب فني، ففيها ما يوحي بأغلب أشكال الطباعة والحفر المتعارف عليهما، كما أنها لا تخلو من "الكرافيتي" أو الخربشة على الجدران، هذا الأسلوب الذي يذكرنا برسومات الأطفال، وخربشات المجانين والمختلين عقلياً، والناس الذين يتوفرون على ذاكرة بدئية كالتي يتوفر عليها الفنان صدر الدين أمين والذي يُعد بحق مرجعاً في هذا الاتجاه، هل لك أن تعزز لنا هذا النزوع البدئي؟

– أشكرك جدا لتركيزك الشديد على أعمالي ولملاحظتك الدقيقة باكتشافك البعد الكرافيكي في منجزي الذي أعتمد فيه على عدة أساليب وبتقنيات مختلفة، لكن يبقى الطابع الكرافيكي يضفي على الأعم الأغلب من أعمالي المبكرة منها والمنفذه منها اليوم ولهذا أسباب جمة، فأولى هذه الأسباب أن أسلوبي "البدائي" في الرسم يتحتم على وضع لمسات غرافيكية في الخط او اللون على حد سواء ولأن فن الغرافيك يعتمد بالأساس على الحفر أولاً والطباعة ثانياً، ولأن أولى رسومات الإنسان كانت عبارة عن أحفورات نفذت بواسطة إما أحجار مدببة أو عظام الحيوانات وطبع الكف المغموس بدماء الحيوانات التي يصيدها الانسان البدائي ثم يترك الآثار المعبرة على جدران الكهوف حيث بيت الانسان الاول، وقد انتبه الصينيون الى ذلك فاكتشفوا أولى الأساليب في فن الكرافيك وهو الحفر على الحجر، وتطور الى الحفر على الخشب والزنك والحرير والخ، والسبب الثاني هو أن أولى الاعمال الفنية الأصلية تلك التي شاهدتها في حياتي في مدينة كركوك كانت أعمالا كرافيكية وكانت هذه الأعمال تحمل تواقيع فنانين محترفين مثل أعمال صديقي الرسام الكرافيكي البوهيمي المبدع يونس كلو العزاوي (مقيم في ألمانيا حالياً) وهو شقيق الشاعر الكبير فاضل العزاوي الذي كان قد عاد من إيطاليا في منتصف السبعينات وكان يدعوني الى بيتهم وهناك كنت أدهش أمام أعماله الكرافيكية المدهشة حقاً وبقي أثر تلك الدهشة الاولى في ذاكرتي حتى اليوم. وهناك أيضا صديقي الفنان الكرافيكي الكبير مدحت محمد علي (المقيم في السويد حالياً) القادم بخبرته الكرافيكية من أسبانيا والذي وبسبب صلة القرابة بيننا كنت أشاهد أعماله الكرافيكية في منزله، وكنت أراقبه كيف يرسم وكيف يحفر ويطبع أعماله التجريدية التعبيرية، وبقيت تلك اللوحات عالقة في ذاكرتي حتى اليوم أيضاً، وفي بغداد شاهدت أول مرة أعمال الكرافيكي العالمي الكبير الفنان والمعلم رافع الناصري الذي أعتبره أهم فنان كرافيكي ليس في العراق وحده، بل في شرق آسيا عموماً، وقد أثارتني أعماله في معرض شاهدته وأنا صغير السن وكان بعنوان "أدعية لبغداد" هناك لأول مرة شاهدت أعمالاً ملونة، وبعضها لم تكن كرافيكية، بل أكرليك على كانفاس، لكنه ببراعته يجعل المشاهد وكأنه يقف أمام لوحة كرافيكية، وهذا هو ما أقوم به أنا اليوم، أي الرسم بالأكرليك على الكانفاس بأسلوب كرافيكي، وهذا أصعب من الكرافيك التقليدي برأيي لأنه علي أن أحفر بالفرشاة وأطبع بالألوان مموها على المشاهد بأن ما يراه عملاً كرافيكياً، وليس أكرليك على كانفاس، وهذا يحتاج الى خبرة ودراية وتأن وعمل دقيق كما أرى. ولهذا تجد المسحة وتقنية الكرافيك في أعمالي، وأود أن أذكر أن الناقد الأردني محمد العامري ذكر في مقال له عن أسلوبي بأن أعمالي هي أعمال كرافيكية في كل النواحي. وهو يعرف جيداً أنها أي تلك الأعمال التي شاهدها وقتها كانت عبارة عن ألوان غواش إضافة الى أحبار هندية على ورق. ومن أهم "المحطات الكرافيكية" في حياتي تلك التي توقفت عندها طويلا وذلك في الأردن وتحديداً في مشغل الكرافيك في دارة الفنون المشغل الذي كان يشرف عليه صديقي الفنان الكرافيكي المميز والمخلص للكرافيك سامر أسامة (يقيم في نيوزيلندا حالياً) الذي علمني الدرس الحقيقي الأول في الحفر على الزنك ولكن بسبب سفري الى أمريكا لم أتقن الحرفة جيداً، وخاصة لأن الكرافيك عمل صعب، وينجَز على شكل مراحل، وهذا يحتاج الى صبر وخبرة عالية، وهذا ما لا يمكن أن يحصل بين ليلة وضحاها، لذلك تجد قلة من الفنانين يبرزون في هذا المجال الابداعي من الفن، إضافة الى أسباب أخرى، لكل هذه الأسباب التي ذكرتها لك وبسبب عشقي للفن الكرافيكي الذي لم أمارسه، ولم أنتج عملا حقيقياً يوما بشكله الاحترافي التقليدي. ولهذا وجدت طريقة أسميها "حيلة فنية" وهي الرسم على الكانفاس والورق وبالفرشاة والأقلام والأحبار بطريقة كرافيكية محترفة بحيث تخدع حتى عين الفنان الكرافيكي المحترف وهو يشاهد أعمالي وأصبح لي خلال التجربة والمران والوقت خبرة في هذا المجال فلذلك أعرف كيف أرسم بالحفر على الخشب والزنك والطباعة الحريرية من دون اللجوء الى مواد الكرافيك من قطع الزنك أو الخشب والأحماض والأحبار الخاصة رسماً كرافيكياً خالصاً يحمل توقيع رسام غير كرافيكي.

مخلوقات وحيوانات

● أنجزت خلال عام 2005 العديد من اللوحات الفنية، وقد هيمنت مفردة "المخلوقات" على عناوين هذه اللوحات، غير أن هذه المخلوقات توقيتات محددة تشي ببعد زماني مرة ومكاني مرة أخرى مثل "مخلوقات نهارية"، و"مخلوقات ليلية"، و"مخلوقات صباحية"، و"مخلوقات مسائية" وفي الجانب هناك إحالات إلى مدن وحواضر وصحارى معروفة في العالم مثل "حيوانات نيو مكسيكو" و"رموز من الشرق"، و"طيور الصحراء" الخ، هل لك أن توضّح هذه الإحالات، وما هو دورها في ترسيخ توجهاتك الفنية والفكرية في آن معاً؟

– هذا السؤال مهم جداً وملاحظة دقيقة ومهمة منك. نعم لقد أنجزت مجموعة كبيرة من الأعمال في عام 2005 وقد عنونتها جميعاً بمخلوقات، وجاءت مخلوقاتي هذه المرة بشكل آخر كما ذكر بعض الذين شاهدوا سلسلة أعمالي الحديثة، وسبب هذا الاختلاف أو التغير أو النزوع أو الهيمنة كما تقول هو أنني اكتشفت عوالم وكائنات ومخلوقات أسطورية وبدائية جديدة هي ليست تلك التي كنت قد استلهمتها من تراثي الرافديني العريق كما كنت من قبل، بل أنني اكتشفت هنا في أمريكا حيث أعيش فيها حيث هنالك مناطق وولايات غير مأهولة بالسكان في مناطق شاسعة منها مثل ولاية أريزونا ويوتا وكولورادو ونيومكسيكو حيث توجد الكثير من الرسومات والمحفورات على الأحجار رسمت من قبل فنانين مجهولين تعود هذه الرسومات الى مئات السنين، وقد بقيت كما هي ومعروضة في الطبيعة على الأحجار وجدران الكهوف القديمة. وقد وجدت في تلك الأجواء والرسومات البدائية والتي يطغى عليها الجانب الطفولي والبدائي والأسطوري والحكائي الديني، كما يبدو لي، ما أبحث عنه في أمريكا بشكل غير متوقع. فأنا لم أتصور يوماً بوجود هكذا أعمال بدائية على أرض أمريكا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وجدت اكتشافاً مهماً غير مسبوق بالنسبة لي، ولم أشاهده من قبل وأقصد المتحجرات الحيوانية البحرية، ثم هياكل الديناصورات العملاقة وآلاف الهياكل لحيوانات وطيور أسطورية كانت تعيش في أمريكا بيننا قبل ملايين السنين. وقد وجدت كل ذلك خلال زيارتي الأخيرة للمتحف الطبيعي في العاصمة واشنطن ومن خلال تأملي لتلك الرسومات المنقوشة على الحجر في تلك الولايات وتأملي للهياكل العظمية والمتحجرات في المتحف اكتشفقت أشياءً ومفردات وأفكاراً ورؤى جديدة خاصة. وبعد أن بدأت أبحث في المكتبات العامة عن كل ما يتعلق بتلك الأماكن ومعروضات المتحف وجدت ما أبحث عنه وهذا ما جعلني أرسم سلسلة أعمال معنونة بـ "مخلوقات"، وحالياً أنا مستمر بذلك المشروع، وسأستمر لاحقاً، الى أن أجد نفسي بأني استنفدت كل ما عندي. وقد جاءت عناوين لوحاتي الجديدة كنتيجة حتمية لتلك الشواهد مثلاً الطيور الموجودة في أريزونا الصحراوية ذات الطبيعة القاسية هي غيرها الموجودة في بينسلفانيا مثلاً، والحيوانات الموجودة في نيومكسيكو هي غيرها في كولورادو مثلاً إلخ، هذا الاختلاف والتنوع سببه اختلاف عناوين لوحاتي من صحراوية إلى ليلية إلى نهارية الخ. فهناك مخلوقات لا تخرج إلا في الليل. وهناك أخرى لا تخرج الا في النهار، وهناك حيوانات تظهر في الفجر فقط، وأخرى تظهر في المساء فقط الخ. وهذه التوقيتات الزمانية تؤثر حتى على لون وحركة الكائن أو المخلوق، ولذلك يجد المشاهد هناك أعمال عنونتها بـ"مخلوقات خضراء" وأخرى حمراء الخ. وكذلك التوقيتات المكانية حيث صحاري نيفادا مثلاً هي غيرها صحارى نيو مكسيكو بحيث تؤثر على المفردة التي أضعها على اللوحة. فهناك بعض المفردات تشي أوتوماتيكياً بالمكان، فلوحة "حيوانات من نيومكسيكو" سمّتها ابنتي الصغيرة اريتوزا حين دخلت مرسمي بعد انتهائي من تلك اللوحة. وما أن شاهدت المفردات في اللوحة حتى قالت سمّ هذه اللوحة بهذا الأسم، وأنا سميتها لأنني كنت قد وضعت أشكالاً حيوانية تابعة لمنطقة نيومكسيكو. إن اكتشاف ابنتي لتلك اللوحة أثبت صحة ما أصبو إليه، وأفكر فيه. وهذا ما جعلك كناقد أن تكتشف أيضا بدقة الملاحظة نفسها التي اكتشفتها ابنتي على رغم من أنك تعيش في قارة وهي في أخرى. وأعتقد بأن هذا هو أصل ورسالة الفن. لقد قلت في حوار سابق أن لوحتي تحتاج الى عين غير كسولة، إما عين طفل، أو عين ناقد محترف تختصران المسافة بين الفنان والمتلقي. وهذه هي رسالة النقد عموماً، وانتصارلعمل الفنان.

مع كيث هارنغ

● ثمة تشابه كبير بين أجوائك الفنية، وأجواء الفنان الأمريكي كيث هارنغ الذي غادرنا الى العالم الآخر في سن الثانية والثلاثين، آخذين بنظر الاعتبار أن أوجه التشابه تنحصر في الأسلوب والمناخات الفنية العامة. كيف تفسّر هذا التشابه بين أعمالك الفنية ولوحات هارنغ الآتية: "البرازيل"، "امرأة مع سيجارة"، "الخنوّص يذهب للتسوّق"، وجدارياته المعروفة "مونت كارلو"، و"برشلونة" وغيرها من أعماله الفنية التي جاءت خلّواً من العنوان؟

– يعتبر هارينغ (1958 – 1990)، وهو من مواليد بينسلفانيا حيث أعيش، أحد أشهر الفنانين الأمريكيين في القرن العشرين، ويلقب بفنان العقد الأخير. وهو أول فنان يُخرج الرسم من "الاندركراوند"، أي من أنفاق المترو الى سطح مدينة نيويورك. وقد اشتهر هذا الفنان بسبب رسوماته المثيرة التي كان يرسمها بواسطة الـ"سبراي" والطباشير و"الأويل ستيك" على الجدران وعلى إعلانات الـ "سَبْواي" لقطارات المترو. وتنقسم أعماله الى ثلاث مراحل: الأولى هي رسم المشاهد الجنسية الشاذة المثيرة الفاضحة بما يتعلق بالمثليين، فمن المعروف عن هارينغ انه كان شخصاً مثلياً، وشاذاً، وقد دفع حياته ثمنا لذلك السلوك الشاذ، فقد أصيب مبكراً بمرض الأيدز، ومات شاباً. المرحلة الثانية: هي مرحلة رسومات الكارتون والرسم الطفولي، وقد اشتهر برسم فيكر (Figure) "طفل يحبو" في مئات اللوحات، وقد اتجه الى هذا الاسلوب عندما علم بانه مصاب بالايدز، وكرس جهوده لخدمة الأطفال والمؤسسات التي تهتم بالطفولة. أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة أسفاره وتأثره بفنون الفراعنة، حيث رسم في تلك المرحلة أعمالاً كثيرة عن المومياوات والاهرام والأشكال الحيوانية الفرعونية مثل اله الموت الفرعوني أنوبيس، وبرسم جداريات ولوحات كبيرة الأحجام حشد فيها آلاف الاشكال، ولم يترك مساحة في اللوحة إلا وشغلها بفيكر معين ومكرر في عشرات اللوحات. في أحدث موسوعة عن فناني القرن العشرين ذكر اسم هارينغ، وذكر أنه قد تأثر واشتغل في مناخات كل من الفنانين فازارلي، نيومان، مابليثورب باسكياه، إضافة الى تأثره برسومات الفراعنة ورسوم الكارتون. أما هارينغ نفسه فقد ذكر في يومياته أنه قد تأثر بلوحة هيرونيمو بوش المعنونة بـ"حديقة المسرات الدنيوية" وذلك خلال زيارته لمتحف برادو في أسبانيا وهو يقول: من خلال تلك اللوحة وجدت نفسي، أسوق هذه المقدمة كي تعرف، ويعلم القارئ أو المتتبع لأعمالي وتجربتي من أن هناك تشابهاً كبيراً بيني وبين هارينغ. وأنا أعتقد بأنه ومن خلال ما ذكرت، فإن فن وأفكار وشخصية هارينغ لا تجمعني به أشياء وتشابهات كبيرة، بل أنه كان يفكر بطريقة هي عكس طريقة تفكيري تماماً، فأنا أرسم بأسلوبي الخاص بي، وهو مزيج من رسوم الأطفال والأشكال الأسطورية، وبأسلوب تعبيري تجريدي وضعه النقاد ضمن المدرسة البدائية في حين أن أعمال هارينغ تندرج تحت الفن الكرافيتي حيث أنه يهتم بجانب الخط و"الآوت لاين" فقط مثل رسومات الكارتون بالضبط. إن أسلوبي في الرسم بهذا الشكل قد بلغ من العمر عشرين عاماً، وأنا قد شاهدت أعمال هارينغ وعرفته قبل سبع سنوات فقط. ولم أسمع به يوماً وأنا في العراق، إضافة الى أنني حتى اليوم لم أقرأ، أو بالأحرى لم يذكر اسم هارينغ في أية مقالة باللغة العربية وبإمكانك أن تتأكد من ذلك من خلال البحث في غوغول، وستكتشف أن هذا الفنان مجهول في عالم الشرق الأوسط. وأعتقد ان كان ثمة تشابه بيننا فهذا التشابه ينحصر فقط في تلك المرحلة التي تأثر فيها بالرسومات والتماثيل الفرعونية، إضافة الى أنه يجمعنا شيء آخر وهو استلهامنا لأعمال هيرونيوم بوش، وأنا قد ذكرت تأثري ببوش في حوار طويل قبل ست سنوات، وقبل أن أعرف أن هارينغ قد ذكر بأنه قد تأثر ببوش كما نشر تلك اليوميات بداية هذا العام في مجلة "آرت نيوز" الأمريكية المعروفة.

الشخصية الشامانية

● أكد الناقد خالد خضير على تجسيد الشخصية الشامانية ذات المرجعية البدئية الموغلة في القدم في أعمالك الفنية، والشامانيون كما هو معروف هم كهنة أو سحرة، أو خبراء روحانيون لديهم القدرة على معالجة المرضى، والتنبؤ، والتنجيم، وكشف المخبأ، والسيطرة على الأحداث، والتنقل بين العالمين العلوي والسفلي، وما الى ذلك من قوى خارقة. هل تؤكد وجود الشخصية الشامانية في أعمالك الفنية كما يذهب الناقد خالد خضير، وهل تقر بوجود المذهب "الأرواحي" الذي يقول بأن لكل شيء في الوجود روحاً أو نفساً، كالإنسان، والحيوان، والطير، والصخر، والشجر، والأسلاف. ونتيجة لهذه الخلاصة الروحية فإن لوحتك الفنية حافلة بهذا القاموس الأحيائي المكثف؟

– شخصياً أعتبر الناقد خالد خضير مفكراً بارزاً ومميزاً ومثابراً من الطراز الأول، فهو ناقد تشكيلي حداثي بامتياز، ولا يكتب أو يفكر بطريقة نقدية كلاسيكية وتقليدية كمن سبقوه من النقاد العراقيين. ومن خلال متابعتي لكتاباته النقدية وجدت أنه يكتب عن جميع الأجيال بروحية حسية واحدة، ويختار عينة من الفنانين ومن كل جيل ويكتب عنهم، ويتابعهم سواء أكانوا من الأحياء أو الأموات. مثلا هو يكتب عن شاكر حسن ال سعيد قبل موته وبعد موته ويكتشف، ويكشف لنا جوانب أخرى ربما فات حتى على شاكر حسن الفيلسوف، وهذا أهم ما في النقد. وهو يتابع أيضا تجارب الفنانين الشباب وأهمية متابعته لتجاربهم تكمن في أنه لا يختار فنانا تجريديا أو تعبيريا أو واقعيا، بل يختار المبدع والمميز من الفنانين حتى وإن لم يكونوا من المعروفين إضافة الى أن خالداً لا يكتب عن تجربة فنان ما مرة واحدة وينتهي الأمر، بل أنه حين يقرر أن يكتب عن فنان ما فهو يكتب عنه باستمرار، على الاقل مرة واحدة في العام. هذه الاستمرارية في الكتابة من أهم مهمات الناقد، ولذلك أنا أشبِّه الناقد الجيد والمميز مثل الطبيب الاختصاصي، فهو يشخِّص المرض، ويكتب للمريض العلاج، ويتابع حالة المريض كل ستة أشهر كي يعرف نتيجة تحليلاته وعلاجه، وذلك كي يعيش المريض طويلاً، وبشكل صحي تماماً وهذا هو حال الناقد والفنان كما أرى. أعرف أن قائلاً سيقول من الفنانين: وهل الفنانين مرضى؟ أقول: نعم، إن كل الفنانين مرضى نفسيّين بشكل أو بآخر، وأي فنان خارج هذا التصنيف هو مجرد بائع أنتيكات. ونحن في العراق نسمّيهم رسامين تجاريين، لذلك فأنا لم أستغرب اكتشاف خالد لشخصية الشامان في أعمالي الأخيرة لأنه باحث مثابر فهو في دراساته الثلاث التي كتبها عن تجربتي في الأعوام الماضية لم يذكر شخصية الشامان، ولكن في هذا العام وبعد أن شاهد أعمالي الجديدة كتب مقالاً حديثاً ذكر فيه شخصية الشامان أول مرة وهذا يعني أن خالداً ناقد ذكي جداً، ويعرف كل صغيرة وكبيرة داخل اللوحة، وخاصة لوحاتي التي تزخر بآلاف الفيكرات دفعة وحدة، ويصعب على الناقد التقليدي اكتشاف شخصيات تلك الفيكرات. وأن الناقد في مجال لوحتي يشبه الباحث عن حبيبات الذهب بتأن وصبر داخل أطنان من الرمال. وإضافة الى اكتشاف خالد خضير لشخصية الشامان في أعمالي الأخيرة فقد نبهتني الى ذلك الكاتبة الروائية المبدعة لطفية الدليمي، فهي ما أن شاهدت لوحاتي أول مرة حتى كتبت لي، ولقبتني ولا زالت بلقب "الشامان الساحر صدرالدين" ولاحقاً كتبت عني وعن تجربتي واحدة من أجمل النصوص ونشرتها في مجلة "هلا" العراقية بثماني صفحات ملونة، وهذا ما أسعدني كثيراً جداً. أما كيف وجدت شخصية الشامان ووظفتها في أعمالي فهي قصة طويلة والحديث عن الشامان طويل جدا اذ بامكاني أن اتحدث في الموضوع باسهاب، ولكن سأحاول أن أختصر الموضوع بأقل العبارات، اذ أنني وجدت الشامان من خلال المصادفة البحتة في أثناء مروري اليومي بالمكتبة العامة حيث وجدت كتاب انثربولوجي يتحدث عن الشامان وهناك وجدت بعض طقوسهم ورسوماتهم وأدعيتهم وطلاسمهم. وقد أثارني كل هذا ووجدت بأني قريب منهم، وبدأت أبحث عن كل ما يتعلق بهم. فالشامان قبل كل شيء طبيب حاذق في عالم الروح، والشامانية هي أقرب الى مذهب المتصوفة المسلمين الديني، وما زال بعض الشامانيين يعيشون في ولاية أريزونا الأمريكية، وهم ما تبقى من قبائل الهنود الحمر، ولكن الأعم الأغلب منهم يعيشون في أمريكا الجنوبية حتى اليوم. إنهم أشبه بدراويش الطرق القادرية والرفاعية والنقشبندية في كوردستان العراق. إن طقوس الشامان هي نفسها طقوس دراويش العراق باختلاف بعض التفاصيل الصغيرة. وكل شامان حقيقي هو باحث عن نشيد سحري، وهذا النشيد السحري لا يمكن أن يحصل عليه الشامان الا اذا توحّد مع نفسه في غابة عميقة، وهو عارٍ تماما كالحيوانات والطيور يأكل ويعيش حيواتهم، وبعد مدة أربعين يوماً اذا نجح سيصبح شامانا، ويكون شخصاً مباركاً، يشفي الأمراض، هذا اذا ما حصل على النشيد السحري، هذا النشيد الذي بإمكانه أن يحوِّل الطائر الى فحم كما يقولون. وهم يتصورون أن الطيور التي يراها المرء في الحلم ليست طيوراً عادية، بل هي كائنات فوق طبيعية. وهذا بالنسبة لي اكتشاف مهم جداً لم أكن اشعر به من قبل، إضافة الى انهم يهتمون بالحيوانات والزواحف والحشرات والطيور اهتماما كبيراً، وهذا ما يجمعني بهم. وهناك عنصران مهمان حيث أن لكل شامان شجرة، والشجرة تنبئه بموته وبقائه في الحياة. وأنا وضعت تلك الاشجار في الكثير من أعمالي إضافة الى عنصر الموسيقى. فالشامان يجب أن يكون مغنياً جيداً ليغني أغاني صوفية، وأنا وجدت هذا الموضوع قبل اكتشافي للشامان، فقد وضعت موسيقى وغناءً صوفياً قبل سنوات طوال على خلفية الويب سايت الخاص بأعمالي، وحتى أن الكثيرين كانوا ولا يزالون، يسألونني عن مصدر تلك الموسيقى الصوفية. في حضارة الشامان البدائية يعتبر الشامان طبيباً وكاهناً وفيلسوفاً وموسيقياً وفناناً بارعاً. والشامان مطلّع على أسرار ما وراء الطبيعة. وهم مستمرون في البحث عن معنى ومغزى الوجود في تطور الروح. إنهم حقيقة كائنات "أرواحية" بحسب تعبيرك وأنا حقيقة اكتشفت كلمة ارواحية منك، وهذا شيء أشكرك عليه، وجوهر فلسفة الشامان هو الروح وهم يعتقددون أن لكل شيء في الطبيعة روحا، أو جماداً، أو نباتاً، أو حيواناً الخ. نعم، الروح كل شيء، فبوسع الروح أن تضحك وتسعد وتتغنى، وبوسعها أن تحزن وتبكي وتندب وتنتحب، وفي أسوأ حالاتها تضيع. ومتى ما ضاع الروح ضاع كل شيء. أشعر بأني كائن روحاني، وهذا يعني بأنني مؤمن بمذهب الشامان الأرواحي البدائي لذلك تصح مقولة لطفية الدليمي حقيقة حينما تلقبني بالشامان الساحر صدرالدين.

العالم البدئي

● ماذا يعني لك العالم البدئي بعلاماته وإشاراته وشيفراته وأيقوناته، وهل ستظل متشبثاً بالبكتوغرافي كأسلوب لتنفيذ لوحتك الفنية. وهل أن الوحدات الصغرى التي يحتشد بها عملك الفني تعتمد في اجتراحها على التلقائية اللامفكر فيها، والمصادفة العابرة، أم أنها نتيجة للبحث المضني، والتأمل الدقيق الفاعل الذي أفضى إلى هذه اللوحات المكتنزة شكلاً ومضموناً؟

– هذا العالم البدئي الذي صنعته بيدي بإشارات ما ورائية معتمداً على خيالي الابتكاري وعقلي الباطني يتجلي لخيالي الجواني العميق لابتكار وخلق صور مرئية أو إشارية ناطقة بالحياة من خلال الخطوط والألوان التي قادتني الى أن أعثر على النصف الآخر من حلمي بخلق وطن افتراضي ينتشلني من عالمنا الواقع الذي يمر اليوم في واحدة من أسوأ فترات التاريخ البشري حيث صار عدو الإنسان نفسه بعد أن كان عدوه الحيوان فقط يوم لم يكن الانسان يخاف من شبيهه الانسان، وكان يروِّض حتى الحيوان المفترس نفسه. أما اليوم فصار الإنسان حيوانا للأسف أقول كل هذا بسبب القيامة التراجيدية على أرض وادي الرافدين. صدقني يا عدنان كلما قرأت أو سمعت بأنه قد عثر على مجموعة أخرى من الرؤوس البشرية العراقية المقطوعة على نهر دجلة أو في أماكن متفرقة من العراق أشعر بمرارة وألم حاد في كل انحاء جسدي. ولاحقا يتحول هذا الألم الى غضب عارم، وثم يتحول غضبي الى خجل. نعم الخجل من انتمائي الى الانسان العراقي الذي يقطع رأس أخيه الانسان بدوافع لا أجد لها تبريرا إطلاقا، إلا تبرير وحيد، وهو القتل الغريزي الحيواني فقط. هذا هو الشعور المدمر الذي ينتابني ويجعلني أشعر بالخجل لانتمائي الى الانسان الذي يفترض أن يكون أرقى المخلوقات، ولكن ما نراه في أرض الواقع هو عكس ذلك تماما. لهذا وجدت نفسي مبكرا أرفض هذا الواقع الحيواني الافتراسي، وقررت أن أبني لنفسي، ولربما لآخرين يشاركونني شعوري عالماً خيالياً، ولنسمه وطناً افتراضياً أبنيه حجرة حجرة وبمشيئتي حيث الخالق والمخلوق هو الفنان نفسه، هذا العالم هو عالمي الذي يدعوني الى مزيد من الجمال والآمال والأحلام المدهشة، وبكل ما فيه من علامات وإشارت وشيفرات وأيقونات تعيش وتنمو وتكبر على سطح لوحتي أو وطني الافتراضي، هذا الوطن الذي كشف لي أن وطن الفنان لوحته ولوحته وطنه. ولا أدري حتى اللحظة الى أين تقودني لوحتي البكتوغرافية؟ هل ستوقفني محطة أسلوبية ما يوماً قريباً، أم سأظل في أرض الصناع السحرة. وهذا لا يعني بأني لا أفكر وحتى في أثناء الرسم بأسلوبي الحالي بالتفكير الى ابتكار أسلوب آخر، ومفردات أخرى وعالم آخر. إن ما يجده المشاهد من وحدات صغرى محتشدة بكثافة عالية على لوحتي، ومن مفردات لا أعتمد فيها على التلقائية أو من دون تفكير مسبق ونادراً ما تظهر بشكل عفوي أومصادفة عابرة، بل هي بالتاكيد نتاج بحث مضنٍ طويل، وتأمل في كل موجودات الطبيعة، الطبيعة التي وهبتنا كل شيء، وأنا أنهل منها دوماً ومصدري الثر حيث أقضي أوقاتا في الغابات متأملاً الأشجار العملاقة والأعشاب، ومتأملاً الطيور والحيوانات والحشرات الصغيرة المتنوعة الأشكال والألوان. كل هذه المفردات تشكل عالمي الداخلي، وهو عالم مزيج من الواقع والخيال، وغير منحاز الى الواقع الصرف، ولا الخيال الصرف، أفسره تفسيراً عقلانياً ذا بعد خرافي خيالي يأخذنا بعيداً الى جذورنا ووجودنا وأصلنا، حيث مخلوقاتي التي يختلط فيها الحلم بالواقع. فلا هي حلمية ولا هي واقعية، حيث بإمكان المرء اختيار الجانب الذي يمثله بحرية، وهذا كله يجعل لوحتي مهضومة ومقبولة لدى شرائح مختلفة من أطفال وشباب وشيوخ، ومن كتاب وشعراء وموسيقيين يشكرونني دوماً لأنني خلقت لهم عالماً باهراً مشحوناً بالصور الغريبة الحلمية، عالم غرائبي مفتوح على جميع جهات الأرض أساسه سحر وبراءة وطفولة ونقاء وجمال من نوع نادر. إنها فنطازيا طفولية حميمة، ونافذة مشرعة داخل روح الإنسان في عالمنا الموحش هذا.

الفنان صدر الدين أمين

سينما

رشيد مشهراوي في شريطه الأخير
تساؤلات لا تبحث عن إجابة!

رمضان سليم

فتحي عرفات

ياسر عرفات

رشيد مشهراوي

بعد أن عرض فى أكثر من مهرجان سينمائى ونال تقديرات نقدية لافتة للنظر، وخصوصا فى مهرجاني السينما العربية فى باريس والفيلم العربى فى نوتردام بهولندا، ها هو الفيلم الأخير للمخرج الفلسطيني رشيد مشهراوى يعرض فى افتتاح مهرجان الاسماعيلية للافلام التسجيلية والقصيرة فى دورته العاشرة (من 15 الى 22 - 9 - 2006).

وبالطبع، يغلب على شريط الافتتاح، وخاصة لمهرجان مثل الإسماعيلية السينمائى الدولى، أن يكون له الطابع السياسي الذي يمنحه امتيازا فنيا، وكذلك يستجيب للبعد السياسي المطلوب المتناسب مع ما تمر به المنطقة العربية من أحداث ساخنة.

اسم الشريط: "أخى عرفات" إنتاج 2006، وقد اشتركت عدة مؤسسات أوروبية فى انتاجه بالاضافة الى جهة الانتاج الفلسطينية والتى يملكها المخرج نفسه وهى مركز الانتاج السينمائى.

يشير عنوان الشريط الى الرئيس الراحل عرفات، ويوحي بأن الفيلم سيكون عن عرفات نفسه، لكن وقائع الفيلم التسجيلي تسير نحو اتجاه آخر، لأن الفيلم يقدم جانبا من شخصية فتحي عرفات، الأخ الاصغر لياسر عرفات والنداء الذى يعبر عنه العنوان يصدر من فتحى عرفات، الطبيب الذي توفي بعد اخيه بحوالي ثلاثة اسابيع دون أن يعلم بأن أبا عمار قد سبقه الى الموت بأيام معدودة. اذن شريط مشهراوى الأخير ليس له علاقة مباشرة بعرفات الرئيس رغم أن صورة الرئيس ظلت مسيطرة عن الفيلم ومنذ البداية، لأن الجمهور لا يهمه معرفة الطبيب فتحي عرفات، مؤسس الهلال الأحمر الفلسطيني وليس معنيا بالتعرف على تفاصيل حياته فى ايامه الاخيرة، بقدر ما هو معني بكل ما له علاقة بياسر عرفات وفى كل شاردة وواردة، ومن هنا فان الفيلم لم يلتقط موضوعه بتلك الطريقة الجيدة المفقودة.

ربما تذكر المتفرج الشريط الوثائقى المرئي المعروف الذى اخرجه اوليفر ستون منذ ثلاث سنوات وكان بعنوان "غير المرغوب فيه" والفيلم كان ايضا حول ياسر عرفات، الرئيس المحاصر فى رام الله، من غير أن يظهر في الفيلم، كما كان يستهدف سيناريو الفيلم فى الاصل، فى ثنائية ارادها المخرج ان تكمل بعضها، من ياسر عرفات فى الشريط الأول الى كاسترو فى الشريط الثانى.

لكن المسألة هنا اختلفت، فقد جاء فيلم "أخى عرفات" لمدة أقصر (في 52 دقيقة) وبوجه مختلف، فهو يعتمد اساسا على حركة المخرج نفسه وتنقلاته، فضلا عن تساؤلاته التى يرددها من خارج الكادر، فى شكل تعليق على الأحداث المتتالية. وبصوت المخرج نفسه رشيد مشهراوى الذى تتبعه الكاميرا أينما سار.

يذكرنا الفيلم ايضا بفيلم آخر لمخرجه الفلسطيني محمد بكرى وكان بعنوان "من يوم ما رحت" إنتاج 2005 حول الكاتب الراحل إميل حبيب، فهو الشخصية التى يوجه اليها التساؤل، «هذا هو ما يحدث، من آلام وانهيارات، والأمر يسير على نفس المنوال من يوم ما رحت، لست لأنك السبب ولكن باعتبارك شاهدا على عملية السلام المؤودة».

فى شريط مشهراوى تساؤل يوجه فى نهاية الشريط الى الرئيس الراحل ياسر عرفات... وماذا بعد وإلى اين تسير الأمور، ويكون الجواب: «الصبر.. الصبر» مستشهدا بآية من القرآن الكريم.

ولكن قبل الوصول الى هذا المشهد هناك مسافة قطعها الفيلم، وبدأت بالرغبة فى إلقاء السؤال على ياسر عرفات نفسه، وكان الاعتماد فعليا على شخصية فتحى عرفات التى يعرفها المخرج جيدا.

إن فتحي عرفات هو مجرد وسيلة مساعدة للالتقاء بعرفات الرئيس لطرح التساؤل عليه، إنها الحجة التى ينبنى عليها الفيلم من أجل إخراج فيلم بواسطة آلة تصوير حديثة وخفيفة يمكن ان تنتقل عبر كل مكان بواسطة نفر من الأصدقاء، شكلوا طاقم الفيلم.

إن الطبيب فتحى عرفات الوسيط يتحول الى هدف ويصبح الشريط كله تقريبا حوله، من القاهرة التي ترجع فيها آلة التصوير الى مستشفى الهلال الحمر الفلسطيني ليبدأ الحوار مع فتحى عرفات حول طفولته المشتركة مع أخيه، ثم الانتقال الى الشقة لعرض صور عائلية قديمة، بجانب تعليق مستمر حول نوعية الطفولة المعاشة ومع التركيز على الرئيس الذى يعيش حالة حصار فى شيخوخته، يعرض مرئيا بين الحين والآخر.

هناك أيضا عودة الى الشقة التى عاش فيها عرفات عندما كان رئيسا لاتحاد الطلبة الفلسطينيين.

والفيلم بحواره وتعليقاته يكاد يقع فى مصيدة البطء والفراغ، وخصوصا وأن الطبيب عرفات يعيش حالة من المرض، والتى تجعله فى حالة استشفاء طوال الشريط الى حين الانتقال إلى باريس للعلاج من السرطان الذى يزحف محطما جسده، فى حالة تواز مع الرئيس المحاصر والذي لا تظهره الشاشة الا من خلال الاخبار المرئية، فى مشهد جيد، يظهر فتحى عرفات وهو يغنى أغنية لمحمد عبد الوهاب وبحضور شلة من الاصدقاء، وهو المشهد الذى يعبر عن التعلق بالحياة رغم أجواء المستشفيات والحقن والأدوية والابر الصينية.

تعود الكاميرا إلى معبر رفح ومنه الى رام الله حيث يسمح للمخرج بالبقاء داخل المدينة لمدة يومين حسب القانون الإسرائيلي الذى يلزم كل فرد بالاستقرار فى المكان الذى ولد فيه فقط.

فى وسط مدينة رام الله ولغرض اللقاء بعرفات بمساعدة الأخ فتحى عرفات تبرز التناقضات والسلبيات، وكما قال سائق التاكسي فان أى فلسطينى لا يستطيع أن يعيش الا اذا كان تابعا لتنظيم أو عائلة غنية أو جماعة مسلحة، من غير ذلك ليس هناك الا تفجير النفس.

لم يكن مشهد اللقاء مع الرئيس عرفات وبحضور شقيقه طويلا، ومر التساؤل سريعا وكذلك الإجابة، ليتحول الشريط بعد ذلك إلى شريط آخر ينوى المخرج تصويره بعنوان "انتظار". إنه شريط حول الصبر الذى يطول ويطول، ويكفى ان الممثل الذى طلب منه أن يؤدى شخصية رجل "صابر" قد هرب لأنه لم يفهم مقاصد المخرج، وكيف يمكن التعبير عن الصبر المفتوح وغير المحدود، وكأن لا أحد يقبل بالصبر المطلق.

إن الممثل هنا هو أى فلسطيني صابر أو بالأحرى حائر!

يكتمل الشريط ليصل الى نهايته من خلال متابعة رحلة أبى عمار الى باريس للعلاج ثم جنازته المرئية، وأمام كل ذلك يطرح التساؤل مجددا هل نحن أمام بداية أم نهاية؟

فى الفيلم الكثير من العفوية، لكن هناك تخطيطا جيدا لكل ما هو عفوى، وخصوصا الربط بين البداية والنهاية. في البداية نجد انفسنا امام شخص هو المخرج ينهض من جلسته، وفى النهاية يعود نفس الشخص الى الاستلقاء على ظهره من جديد والأمر واضح هنا على ان النهاية دائما هى البداية والمصير مجهول.

فى كل أفلامه السابقة الروائية منها والتسجيلية والقصيرة وعددها 15 شريطا يبدو التوازن قائما بين الاجتماعى والسياسي والفني، وإذا كان هذا الفيلم هو الأضعف فى مسيرة المخرج رشيد مشهراوي، فإنه حلقة مضافة تكمل مسيرة المخرج الفنية منذ: حظر تجول، وحيفا، وتذكرة الى القدس ،وكذلك أشرطة مثل: يعيش فى القدس، وربابا، وموسم الحب، وخلف الجدران، والملجأ وغير ذلك من الافلام التى تصرح بالفن قبل السياسة.